

الأقسام في القرآن

(121) وأمّا الصلة بين المقسم عليه أعني قوله: "لتبعثن" والحلف "بالنفس اللوامة" فهي ظهور اللوم من هذه النفس يوم القيامة، فإنّ نفس الكافر لا تلومه في الدنيا إلا قليلاً، في حين يتجلّى اللوم ويتجسّد يوم القيامة أكثر فأكثر. وأمّا كرامة النفس اللوامة فواضحة جداً، لأنّها تردع الإنسان عن اقتراف الذنوب، ولا يمكن خداعها، وهي نقطة تزجر الإنسان دائماً بالنسبة إلى ما عمله وقصده. إنّ إبراهيم لما حطّم الأصنام وجعلها جذاذاً إلاّ كبيراً لهم لعل القوم يرجعون إليه ويرتدعون عن عقيدتهم بإلهيتها، فلمّا رجعوا ووقفوا على أنّّه عمل إبراهيم أحضروه للاقتصاص منه، وخاطبوه بقولهم: (أأنت فعلت هذا بالهتنا)، فأجابهم إبراهيم: (بل فعَلَلَهُ كَبِيرُهُمْ) ، ثمّ أمرهم بسوّاله عن الجريمة التي ارتكبتها، فبهت الجمع من هذا السوّال وطلوا صامتين لعجزهم عن الإجابة، فعندئذ تبين لهم أنّ مثل هذا الصنم أحط من أن يعبد، فاستيقظ وجدانهم وأخذت نفوسهم تلومهم على النهج الذي اختطوه، بل الآلهة التي عبدوها حيث وجدوا أنّها غير خليقة بالعبادة والخضوع، وهذا ما يحكي عنه القرآن بقوله: (فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنّكم أنتم الظالمون) أي خاطبوا أنفسهم بالظلم، فكأنّها قال بعضهم لبعض أنتم الظالمون حيث تعبدون ما لا يقدر عن الدفع عن نفسه وما نرى إلاّ مرّ إلاّ كما قال هذا الفتى. هذه هي النفس اللوامة التي تظهر بين الحين والآخر وتزجر الإنسان عن ارتكاب الذنوب. وهذا الذي يسمّيه علم النفس في يومنا هذا بالوجدان الأخلاقي، ويصفون الوجدان محكمة لا تحتاج إلى قاض سوى النفس، وهي التي تقوم بتأسيس